محاضرة05: الجهود الغربية في المصطلحية

تُعدّ المصطلحية (Terminology) من العلوم الحديثة التي نشأت في الغرب استجابةً لحاجة ملحّة فرضها التطور العلمي والتقني الهائل منذ القرن الثامن عشر. فقد واجه العلماء والمهندسون مشكلة عدم دقة اللغات الطبيعية وتعدد معاني كلماتها، مما أعاق التواصل المهني والعلمي. ومن هنا برزت الحاجة إلى علم يضبط المصطلحات ويوحّدها ويضع قوانين لصياغتها.

1- الجذور الأولى للممارسة المصطلحية في الغرب

عرفت أوروبا ممارسات مصطلحية في سياقات علمية محددة. ففي القرن الثامن عشر، برزت جهود علماء النبات والكيمياء في وضع تسميات منهجية للمفاهيم الجديدة. فقد وضع لينيوس (Linnaeus) نظام التسمية الثنائية للأنواع النباتية والحيوانية، وهو نظام لا يزال مستخدماً حتى اليوم ، وفي الكيمياء، قام لافوازيه (Lavoisier) وبيرتولي (Berthollet) بوضع نظام للتسميات الكيميائية يقوم على أسس عقلانية ومنهجية، وقد ساهم هذا النظام في تحويل الكيمياء إلى علم دقيق ذي لغة موحّدة .

كما يُذكر أن مصطلح "Terminologie" ظهر أولاً في ألمانيا في القرن الثامن عشر على يد كريستيان غوتفريد شوتز، ثم انتقل إلى الفرنسية سنة 1801 عبر سبستيان ميرسيه، قبل أن يستخدمه وليام ويويل في الإنجليزية سنة 1837 .وقد كان ويويل نفسه من الرواد في صياغة مصطلحات علمية دقيقة، إذ وضع مصطلحات الكهرباء التحليلية مثل "الأنود" و"الكاثود" و"الأيون" بناءً على طلب من مايكل فاراداي .

2- يوجين فوستر والميلاد الحقيقي للمصطلحية الحديثة

يُجمع الباحثون على أن يوجين فوستر (1898–1977) هو مؤسس المصطلحية الحديثة. فبعد صدور كتابه "التوحيد الدولي للغات الهندسة، وخاصة الهندسة الكهربائية" عام 1931، اعتُبر هذا العمل حجر الأساس الذي قامت عليه المصطلحية النظرية، وقد انطلق فوستر من إشكالية واضحة: عدم دقة اللغات الطبيعية وتنوعها وتعدد معاني كلماتها يعيق التواصل المهني بين العلماء والتقنيين. ومن هنا، رأى أن المصطلحات هي "الدواء الناجع" لضمان تواصل دقيق وفعّال.

قام منهج فوستر على مبادئ أساسية عدة:

- الأولوية للمفهوم لا للمصطلح :فالمصطلحية عنده تتمحور حول المفهوم الذي تعبّر عنه المصطلحات..
- أحادية الدلالة: مصطلح واحد للمفهوم الواحد.
- التوحيد والتقييس :ضرورة توحيد طرائق وضع المصطلحات ونشرها وتنظيم المجال الذي تنتمي إليه.

3-المدارس الفكرية المعاصرة في المصطلحية

تتشكل المصطلحية الغربية الحديثة حول ثلاث مدارس رئيسية، لكل منها سياق تاريخي ومواقف نظرية ومنهجية مميزة. وهي:

أ-مدرسة فيينا(المعيارية والنظرية المفهومية)

هي المدرسة الأكثر منهجية وتأثيراً في المصطلحية. أسسها المهندس النمساوي أوجين فيستر، حيث قدم أطروحته للدكتوراه عام 1931 "المعيارية الدولية للغة التقنية، خاصة في مجال الكهرباء" التي تُعتبر علامة على تأسيس النظرية المصطلحية الحديثة، وكان دافعه الأولي هو حل مشكلة عدم اتساق المصطلحات في المجال التقني مما يعيق التواصل المهني. لذلك، تتمحور مدرسة فيينا حول التقييس، وتسعى إلى تحقيق "مفهوم واحد، مصطلح واحد" من خلال توحيد المصطلحات.

منهجياً، تتبنى مدرسة فيينا الأولوية المفهومية، أي أن تحديد المفهوم يسبق تسمية المصطلح، ويتم توحيد المصطلحات من خلال توضيح العلاقة بين المفهوم والمصطلح. يستوعب فيستر المعرفة من المنطق والأنطولوجيا وعلم المعلومات لبناء نظام تصنيف صارم .كما جلبت مدرسة فيينا المصطلحية إلى إطار التعاون الدولي، حيث أصبحت اللجنة التقنية ISO/TC 37 و Infoterm(المركز الدولي لمعلومات المصطلحات) الذي تأسس لاحقاً في فيينا، وتبنت أفكار فيستر.

ب- المدرسة الروسية: الخصائص المنهجية والتوجه العملي

تأسست المدرسة الروسية في الفترة ذاتها تقريباً مع مدرسة فيينا، ويرجع تاريخها إلى الثلاثينيات. يتألف جيلها الأول من علماء بارزين مثل لوتّه (D. S. Lotte)ودريزن .(E. K. Drezen)على الرغم من أن دريزن قد نقد أطروحة فيستر، إلا أن المدرستين كانتا على اتصال، حيث تبنت المدرسة الروسية أيضاً أفكار فيستر.

ركزت المدرسة الروسية على الخصائص المنهجية للمصطلحات والبحث التطبيقي، والعلاقات الهيكلية بين المصطلحات والمفاهيم التي تعبر عنها، بدلاً من النظر إليها بشكل معزول .في الممارسة العملية، تفضل المدرسة الروسية الترتيب الموضوعي (الترتيب حسب نظام المفاهيم) بدلاً من الترتيب الأبجدي، وتولي اهتماماً خاصاً لقضايا "توليد المصطلحات" و"توحيد المصطلحات"، بهدف مباشر هو خدمة التطبيقات العملية لترجمة المصطلحات التقنية وتوحيدها.

ج-مدرسة براغ: منظور وظيفي ولساني

هي في الأصل حلقة براغ اللسانية التي تأسست عام 1926، ويمثلها فيليم ماثيسيوس ورومان ياكوبسون وآخرون .موقفها النظري هو الوظيفية والبنيوية، حيث تنظر إلى اللغة كنظام وظيفي، وتؤكد على وظيفة اللغة التواصلية وارتباط البنية اللغوية بالوظائف الاجتماعية.

على الرغم من أن مدرسة براغ لم تكن في البداية مدرسة مصطلحات مخصصة، إلا أن منظورها اللساني Functional قدم إلهاماً مهماً للمصطلحية. فهي تنظر إلى المصطلحات كجزء من اللغة، وتهتم بكيفية عمل المصطلحات في سياقات التواصل الفعلية. يتجلى إرث مدرسة براغ في مجال المصطلحات بشكل رئيسي في توفير أساس نظري لدراسة المصطلحات من منظور لساني، بدلاً من اعتبارها مجرد أدوات تقنية، وقد أثرت المفاهيم التي طرحتها، مثل "الوظيفة" و"البنية" في التحليل اللاحق للبنية الداخلية للمصطلحات ووظائفها النصية.

وخلاصة القول: تمثل مدرسة فيينا المعيارية والأساس النظري للمصطلحية؛ بينما تمثل المدرسة الروسية المنهجية والتوجه العملي، مما دفع التطبيق العملي للمصطلحات؛ بينما قدمت مدرسة براغ من خلال اللسانيات الوظيفية منظوراً لغوياً واهتماماً بالسياق العملي، مما أغنى أبعاد البحث في المصطلحية.

4- المؤسسات الدولية والمنظمات المعيارية

تحوّلت الجهود الغربية في المصطلحية إلى عمل مؤسسي منظم. ففي عام 1936، وبطلب من الاتحاد السوفيتي، تشكّلت اللجنة التقنية للمصطلحات ضمن الاتحاد العالمي لجمعيات المقاييس الوطنية (ISA)، وكانت مهمتها وضع مبادئ وطرائق للعمل المصطلحي تنطبق على جميع المجالات العلمية، وبعد الحرب العالمية الثانية، استُبدلت هذه اللجنة باللجنة التقنية 37 التي أصبحت جزءاً من المنظمة الدولية للتقييس(ISO) ، والتي لا تزال تلعب دوراً محورياً في وضع المعايير المصطلحية الدولية .

وفي عام 1971، تأسّس مركز المعلومات الدولي للمصطلحات (Infoterm) في فيينا، نتيجة تعاون بين اليونسكو والحكومة النمساوية. ويهدف هذا المركز إلى:

-تشجيع البحوث العلمية في النظرية المصطلحية ووضع المصطلحات وتوثيقها.

-توثيق المعلومات المتعلقة بالمصطلحات والمؤسسات العاملة في هذا الميدان.

-تنسيق التعاون الدولي في حقل المصطلحات وتبادل المعلومات.

-بحث إمكانات التعاون بين بنوك المصطلحات .

وقد عقد المركز عدة مؤتمرات وندوات عالمية، أولها الندوة العالمية الأولى حول التعاون الدولي في حقل المصطلحات (فيينا، 1975)، ثم المؤتمر الأول لبنوك المصطلحات الدولية. (1979)

5- تطور المصطلحية بعد فوستر

شهدت المصطلحية بعد فوستر تطورات نظرية ومنهجية مهمة. وقد ميّزت الباحثة ماريا تيريزا كابري أربع مراحل في تاريخ هذا العلم:

وفي العقود الأخيرة، برزت مقاربات جديدة تنتقد التركيز الفوستري على المفهوم بمعزل عن السياق التواصلي. فظهرت المصطلحية الاجتماعية والمصطلحية التواصلية والمصطلحية النصية، التي تنظر إلى المصطلح باعتباره وحدة حية تتشكل داخل الخطاب المتخصص وتتأثر بالسياق الثقافي والاجتماعي .وقد أسهمت هذه المقاربات في إثراء النظرية المصطلحية وجعلها أكثر قدرة على استيعاب الواقع المعقد للتواصل العلمي.